نظام

ديوان الاستخبار في الهند

في عهد المسلمين

للسيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي

— ٢ —

أنبأنا في المقال السابق أهم مناصب الادارة ووظائفها. ويظهر لنا من القاء النظر في واجباتها المختلفة ومن تطورها فيما بعد ان اصحاب تلك المناصب والوظائف كانوا يقومون بخدمات هامة لا غنى عنها الحكومة في العالم. فانها كانت تتراوح بين مواصلة البريد الرسمي، وتفتيش الاعمال المالية، واستخبار احوال النظام والقائمين به، واستنباء حوادث البلاد ثم ابلاغها الى اولي الامر. وما من حكومة قامت وترعرعت في محبوة عن تلك الخدمات

على ان حياة الحكومات والدول رهينة بقدر يقظتها على الدفاع عن حدودها فلم يكن ولاة الامر حينئذٍ في غفلة عنهُ، لذلك فأقاليم الحدود كانت موكلة بضابطهم اكثر من غيرها. فمقر «سواغ نويس» — وهو الذي كانت واجباته أوسع من واجبات «وقائع نكار» — كان تلك الأقاليم. ولم يكونوا يختارون لهذا المنصب الا من كان ذا جاهٍ وشرف وكفاية وخبرة. فهو كان يرسل التقارير السرية أسبوعيًا عن كل ما يهمُّ الحكومة مثل غارات الأجانب على الحدود وثبات الحكومات المجاورة لها، والتعدي على الحدود سواء أمن قبل الدول المجاورة كان ذلك أم من اصحاب الأملاك عندها وهلمَّ جرًّا

أما الأقاليم الأخرى فكانت مقر «وقائع نكار». وهؤلاء مثل موظفو [illegible] في فرنسا كانوا أوثق اتصال لدى الحكومة لجس نبض البلاد واستقصاء احوالها. والبيان الذي كانوا يقدمونه الى الحكومة اسبوعيًا كان يسمى «راتمة»

سارت الادارة في طريق التقدم سيراً حثيثاً متشابهة حوالا، ولاة الأمر فقطعت شوطاً بعيداً من الرقي مخطياً واسعة حتى اتسع نطاقها عما وصفناه آنفاً في عهد الملك الفولي العظيم جلال الدين اكبر[1] فأصبحت سجلاً وسجيًا هائلًا لأعمال الحكومة وسياسة الملك وحوادث البلاد وساقت في

---

(١) اكبر ثاني ملوك المغول في الهند تولى الامر من سنة ٩٦٣ هـ الى ١٠١٤ هـ (المترجم)

هذا العهد الزاهر الى اسعد الغايات وقصد بها أقصى المدى الذي يقدر ان يتوخاه أرقى الدول وأحسن النظم . وذلك ما كشف لنا قناعه الشيخ الجليل « ابو الفضل » وزير ذلك المذكور في كتابه الثمين « آئين اكبري » الذي هو دستور الحكومة المغولية حينئذ وسجل نظم نظام الدولة واحوال البلاد في ذلك الزمن الذهبي ، وهو نظام لم يقدر حاكم من الحكام في بعد ان يستغني عنهُ في تدبير أمور الحكم في عهد سواء أكان من الهنود أم من المستعمرين . واليك ترجمة تلك الفاية العليا قال : —

« ان عناية جلالة الملك (يهده الادارة) ان يقام كل واجب احسن قيام لا يزاد ولا ينقص بغير موجب في مصلحة ما ، وان يعزل الخونة ويكرم الأمناء ، وان يشتغل الموظفون النشاط المجتهدون بلا خوف ويوقف المقصرون الكثيرو النسيان » (١)

لم تكن اعمال الملك بنفسه بمعزل عن التسجيل في تلك الادارة ، وذلك لانهُ لما كان الملك حينئذ كالروح في جسم الأمة ، صاحب أمر يمتثل ونهي يمتثع عنهُ ، ومدبّراً لسياسة الحكومة ومرجعاً لاصلاح الفاسد وقوة لاقامة العدل ، ويداً لاغاثة الملهوف ، كان أولى من غيره طبعاً وأجدر بان يسجل اعماله واقواله ، ويقيد سكونه وحركاته ، ليقتدي الأخلاف بعده بمحاسنها ، ويجتنب عن مثالبها . وعليه فالوزير الجليل ابوالفضل قد أماط اللثام لنا في كتابه « آئين اكبري » عن الخطة التي كانت تؤخذ ، والدقة التي كانت تلاحظ ، والاستقصاء الذي كان يراعى في تسجيل اعمال الملك اليومية ، قال :

« حفظ الحكومة تاريخها شيء مستحسن بل هو ضروري لكل طبقة من طبقة الاجتماعية وان كان اقتناء اثره في الزمن القديم ممكناً ولكل اغراضه العليا لم أعرف الا في هذا العهد . فجلالة الملك قد عين خمسة عشر كاتباً من ذوي النشاط والخبرة والجلاد (٢) يقوم اثنان منهم بالواجب اليومي بالدور حيث يأتي دور كل منهم بعد خمسة عشر يوماً (٣) واختار بعض الآخرين يصلحون كالاحتياطي يستخدم كل منهم ليوم واحد وذلك اذا لم يأت احد من الخمسة عشر لمارض هام قام احد الاحتياطي مقامه في ذلك اليوم وسماه « كوتن » اي الزائد عن العدد

« واما واجبهم فهو ان يكتبوا اوامر جلالة الملك واعماله وما يقدم الى جلالته رؤساء المصالح من التقارير ، وما يأكل جلالته وما يشرب ، والوقت الذي ينام فيه ، ويستيقظ ، والآداب المرعية في الديوان الملكي ، والوقت الذي يصرف جلالته في حرمه ، وتشريفه الحفلات الخاصة والعامة ، وسليقة جلالته في الصيد والقنص وما يصطاد جلالته من الحيوانات ، وسيره ووقوفه ،

---

(١) آئين اكبري جلد ١ ص ٢٥٨ (٢) أي من لا يكون من عادته الغياب من الديوان (٣) فيكون الترتيب حينئذ يشتغل في اليوم الاول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وفي اليوم الذي يكون الكاتب الثاني والثالث ، وفي اليوم الذي يكون الكاتب الثالث والرابع وهكذا دواليك

واعماله كقائد روحاني للامة ، والعهود والأيمان التي تحلف لجلالته وملاحظة جلالته فيها ، والكتب التي تقرأ لجلالته ، والصدقات التي يتصدق جلالته بها والعطايا التي يعطيها ، والفروض التي يكلف جلالته نفسه بقيامها يومياً وشهرياً[1] واختيار جلالته الرجال للمناصب وفرق الجيش وتعيين جلالته الرواتب وجاكيرات[2] وجاكيرات سيورغان[3] وهبات جلالته النقدية ، وتزويد الضرائب وتنقيحها ، وعقد جلالته المعاهدات والبيوع ، والنذور المقدمة الى جلالته واصدار مراسيمه والأوراق التي يوقعها جلالته ، ووصول التقارير الى جلالته ، وحضور ندماء جلالته وذهابهم ، وتعيين المواعيد لتحظوة بجلالته ، وتفقد جلالته حرسه الخاص ، واشراف جلالته على الحروب والفتوح ومعاهدات الصلح ووفاة الرجال الشهيرين ، ومشاهدة جلالته نزال الحيوانات والمراهنة عليها ، ووفاة خيول جلالته ، وتنفيذ عقوبات الاعدام وعفو جلالته ، واحوال الاحتفالات العامة مثل الزواج والولادة . واحوال لعب « چوكان » و« چوپر » و« نرد » و« شطرنج » وكوتشينه وغيرها ، وأحوال الحوادث الغير الاعتيادية ، ومحصولات السنة والتقارير عن الحوادث في البلاد »[4]

كان يصحح سجل يومية الملك هذا أحد رجال البلاط ثم يقدمه الى الملك فاذا وافقه الملك وقّع عليه مقدمه الى الملك و « مير عرض » اي تشريفاتي الملك و « رواجي » اي حاجب الملك . وحينئذ كان يسمى هذا السجل « يادداشت » اي مذكرة . ثم كانت هذه المذكرة تلخّص ويرفع عن خلاصتها «وقائع نويس» في البلاط و «رساله دار» اي قائد بلوك الحرس و « مير عرض » اي تشريفاتي الملك ، و « داروغه » اي مدير الخاصة الملكية . فيسمى حينئذ « تعليقه » وهذه « التعليقه » كان وزراء الدولة يوقّعونها ويختمونها

تقدمت الادارة بعد جلال الدين أكبر في عهد خلفائه الذين لم تكلهم خطتها وتبلغهم عقلتها فسددوا خللها وأصلحوا فاسدها حيناً بعد حين . فنجد مثلاً في « تزك جهانكيري » أي مذكرات الملك نور الدين جهانكير[5] أنهُ خاص شقوتها وألم فتوقها وكذلك من تبعه من ورثة العرش وولاة الأمر حتى أُدخلت في عهد الملك محي الدين عالمكير أورنك زيب[6] منظمة الشمل ومستحصفة الخلل ليست بمكان سحق من أمثالها في العصر الحاضر

---

(١) الفارة اي الصلوات الخمس وصيام رمضان (٢) وهي اقطاع الاراضي التي كانت تخصص لمن يخدمون هامة الحكومة حيناً عن حين بضرائب واعوائد ولا يزال هذا الطريق موجوداً في الهند وفي الاخص في الامارات الاسلامية مثل حيدر آباد وبهوپال (٣) اقطاع الاراضي التي كانت تخصص لاعمال خيرية خاصة من جهة لصرف الواردات (٤) آئين أكبري مجلد ثاني صفحة ٢٥٩ (٥) تولى الامر من سنة ١٦٠٥ الى ١٦٢٨ ميلادية (٦) تولى الامر من سنة ١٦٥٩ الى ١٧٠٦ ميلادية . آخر ملوك بيوت التيموريين الذين تولوا بعده فقدت دولة العظام دورها في تطورها حتى انحدرت في عهد آخر الشاهين « بهادر شاه » هذا